الباب السابع

مستقبل العلاقات التركية الأمريكية

زيارة اردوغان للصين ومستقبل العلاقات التركية الامريكية

زار الرئيس التركي رجب طيب أردوغان العاصمة الصينية للمشاركة في منتدى الحزام والطريق للتعاون الدولي الذي تستضيفه بكين ، ثم انتقل إلى واشنطن في زيارة تستمر ليومين، في اشارة منه لإلى خيارات كثيرة قد يتبعها في العلاقات الدولية في حال فشلت زيارته لواشنطن.

ومنتدى الحزام والطريق للتعاون الدولي قد يشهد سلسلة من العوامل الجديدة في العلاقات الدولية سيكون لها تأثير هائل على الجغرافيا السياسية، وذلك مع قمة ثلاثية تجمع اردوغان بنظيريه الصيني والروسي فماذا تعني هذه القمة الثلاثية وما هي تأثيراتها؟.

وجه الرئيس الصيني دعوة لأردوغان لحضور المؤتمر ولبّى الاخير هذه الدعوة، في مرحلة تمر فيها العلاقات الامريكية التركية بصعوبات وظروف حرجة بعد قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بتزويد المسلحين الأكراد في الشرق السوري بأسلحة وعتاد ثقيل، في وقت تعتبر فيه تركيا المسلحين الأكراد منظمات تشكل خطراً عليها وعلى تماسكها ووحدتها الجغرافية.

العلاقات التركية الأمريكية في عهد ترامب

كثيرة هي التفسيرات التي تناولت أسباب فوز الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب بمواقف سلبية؛ بسبب فظاظة ألفاظه وفظاعة تصريحاته

نحو المسلمين المهاجرين إلى أمريكا والأقليات والنساء، والعلاقات الدولية الخطيرة مع السعودية وإسرائيل وإيران وغيرها.

لكن القليل تناول مستقبل أمريكا في عهد ترامب، وهل ستكون أمريكا أقوى أو أضعف مع ترامب، إن بقي رئيساً ولم يتم اغتياله، وقليل من بحث مستقبل العلاقات الأمريكية مع العديد من الدول التي تجد نفسها متضررة أو مستفيدة من انتخاب ترامب رئيساً لأمريكا.

والأهم من ذلك ولكل الأطراف كيف ينبغي على هذه الدول اتخاذ سياسة ذاتية متجددة مع أمريكا إذا غيرت أمريكا سياستها معها، فلا ينبغي أن تنتظر هذه الدول كيف تتعامل أمريكا معها، إنما كيف يمكنها هي أن تصنع سياستها الناجحة مع أمريكا، بغض النظر عن الرئيس الحاكم، فهل تستسلم للسياسات الأمريكية الجديدة، أم أن عليها أن تصنع هي سياساتها الجديدة مع العهد الأمريكي الجديد، بما يخدم مصالحها ويحفظ حقوقها مع أمريكا بعد انتخاب ترامب، أي أن الحديث عن الفعل الإيجابي هو الأولى بأن يتم الحديث عن الخطط السياسية التي ينبغي أن تتعامل بها كل الدول العربية والاسلامية مع أمريكا في عهد ترامب، فالتشرذم السابق أحد أهم وأكبر الأسباب في انفراد أمريكا باحتلال دولة بعد أخرى، أو تركها تموت في الحروب الطائفية والقومية، كما فعلت أمريكا بالعراق وسوريا واليمن في عهد أوباما، عندما أطلقت يد الحرس الثوري الإيراني فيها، وضعف الموقف العربي والإسلامي من ذلك.

بداية هناك تفاؤل في تركيا بأن السياسة الأمريكية في عهد ترامب ستكون أكثر تفهماً للموقف التركي، وهذا ما عبر عنه الرئيس الأمريكي ترامب للرئيس التركي أردوغان في اتصال التهنئة ، أي في اليوم التالي لفوز ترامب، فقد عبر ترامب عن احترامه وتقديره لما حققه أردوغان لبلاده، كما نقل إعجاب ابنته بشخصية أردوغان لما حققه لبلاده من تقدم في سنوات حكمه.

وفي هذه المقدمات إشارة إلى دفء العلاقة بين الرئيسين، وفي نفس الوقت عرض أردوغان على الرئيس الأمريكي القضايا الكبرى التي تواجه الأمن القومي التركي، مثل الأعمال التي تتعرض لها تركيا على أيدي الأحزاب الكردية وداعش، كما عبر له عن عدم رضاه عن عدم تسليم فتح الله جولن زعيم انقلاب ١٥ يوليو الفاشل لتركيا، إضافة لما تشهده المنطقة من حروب في سوريا والموصل أردوغان جعل من اتصال التهنئة تفاهماً سياسياً على القضايا التي تهم تركيا والمنطقة، وبالأخص القضايا الساخنة في الموصل وحلب، وسمع من ترامب تفهماً للموقف التركي، وتعبير ترامب عن احترامه لأردوغان من المفترض أن يكون مؤشراً على تقارب قادم بين الرؤيتين التركية والأمريكية.

لا شك أن نتائج هذه الانتخابات الأمريكية مهمة جداً، وبالأخص لمنطقة الشرق الأوسط التي ستتركها إدارة الرئيس الأمريكي السابق أوباما مهباً للرياح الشرقية الإيرانية والروسية، في تصور خاطىء

ومستهجن من السياسة الأمريكية المعتادة في الشرق الأوسط، فإيران في ظل حكم طائفي ديني مُنحت تسهيلات في التحرك العسكري التدميري في العراق وسوريا واليمن ولبنان وغيرها، دون أن تعارضها أمريكا ولا إسرائيل، ممّا يعني أن أمريكا وإسرائيل كانت ولا تزال مستفيدة من الأخطاء الإيرانية.

حيث أن السناتور الجمهوري الأمريكي جون ماكين كان من رعاة هذا التدخل الإيراني، فمجيء ترامب الجمهوري قد لا يغير من هذه السياسة، بل يواصلها طالما حققت لأمريكا وإسرائيل الفوضى الخلاقة التي تساعد الإدارة الأمريكية على دفع المنطقة ودولها فى الاتجاه الذي تريده .

الاستراتيجية الأمريكية اليمينية المتصهينة لمستقبل المنطقة فإذا ذهبت إدارة ترامب إلى سياسة حاسمة في إنهاء الحروب المشتعلة في المنطقة منذ سنوات فإن التقارب التركي الأمريكي سوف يزداد، وسيتحول الاحترام المتبادل إلى تعاون حقيقي، بمايرضي الشعب التركي والأمريكي أيضاً، فقد كان تأثير إدارة أوباما على الشعب التركي سيئاً بعد ثبوت ضلوع المخابرات والخارجية الأمريكية في عملية انقلاب ١٥ يوليو الفاشلة، فهذا التدخل أغضب الشعب التركي من أمريكا.

وما زاد غضب تركيا هو امتناع أوباما عن تسليم زعيم الانقلاب فتح الله جولن، بل وتصريح المرشحة الأمريكية هيلاري كلينتون أنها لن

تسلم جولن لتركيا جعل الشعب التركي يكره وصول كلينتون للفوز، كما يأمل البعض أن يكون تلويح ترامب بالانكفاء عن التدخل في منطقة الشرق الأوسط أمراً لصالح دول المنطقة وتركيا، فتركيا ترغب في استقرار المنطقة، بحكم تلازم معادلة الاستقرار والازدهار، فلا ازدهار بدون استقرار، ولا نهضة من غير ديمقراطية، وهذا في النهاية قد يؤدي إلى قناعة ترامب بضرورة رحيل الأسد، الذي يتسبب فى أزمات المنطقة من وجهة نظر تركيا، فالأسد سبب للأزمة، ولن يؤدي وجوده لحل أزمات المنطقة بما فيها داعش، أو الأحزاب التي تستغل أبناء القومية الكردية كجنود مرتزقة للحرس الثوري الإيراني أو للمغامرات الأمريكية في استنـزاف إيران وروسيا في سوريا.

فمسألة الأحزاب الكردية قد تكون إحدى أصعب القضايا بين أردوغان وترامب، حيث نقل عن الأخير قوله إنه: يرى من قوات الحماية الكردية المقاتلة ضد داعش أبطالاً يستحقون الدعم، فإذا أخذت مسألة مقاتلة داعش على حدة، وأمكن تركيا تقديم البديل لمقاتلة داعش، فلا عذر لترامب أن يتمسك بقوات حماية الشعب الكردية أو قوات سوريا الديمقراطية، لما في ذلك من تحد للمصالح التركية وأمنها القومي، فتركيا لا تمانع أمريكا في محاربة ما تزعم من إرهاب، وإنما تختلف معها في القوات التي تتولى ذلك، دون أن يؤثر ذلك بالضرر على الأمن القومي التركي.

وبناء على ما سبق فعلى الحكومة التركية أن تتفهم الموقف الأمريكي وأن تقدم رؤيتها ، وهذه التفاهمات التركية الأمريكية القادمة سوف تتمكن من معالجة قضية حلب والرقة والموصل وغيرها، أما إذا واصلت أمريكا سياستها السابقة فإن توافق تركيا مع روسيا سوف يزداد، وقد يكون على حساب المصالح الأمريكية في المنطقة بسبب العناد الأمريكي بتجاهل المصالح التركية، بما فيها تفاهمات فرض منطقة آمنة تحمي الشعب السوري أولاً، وتمنع عن تركيا المخاطر الحدودية ثانياً، بل تدفع عن أمريكا وأوروبا مخاطر الهجرة أيضاً.

وما يوفر فرصة سانحة للرئيس الأمريكي أنه سيكون أول رئيس جمهوري منذ عام ١٩٢٨ يتمتع بالدعم الكامل من الكونجرس بمجلسيه النواب والشيوخ، وهذا سيوفر له قدرة أكبر على تمرير سياسته التصحيحية ضد من أفسدوا أمريكا كما كان يقول في حملته الانتخابية، ليس في داخل أمريكا ولكن في السياسة الدولية، بما فيها المنطقة الأكثر اشتعالاً في العالم.

فمحاولة أمريكا في عهد أوباما استغلال الأخطاء الإيرانية التوسعية الطائفية والقومية أفسد منطقة الشرق الأوسط، وإيران غير قادرة على تعبئة الفراغ الذي قد تحدثه سياستها الرعناء، وكذلك روسيا لن تستطيع تحقيق انتصار بقوتها العسكرية فقط، ومن ثم ينبغي أن يكون الرهان الأمريكي على الدول المعتدلة في المنطقة مثل تركيا ودول الخليج العربي

التي لا تراهن على القتل والدمار طريقاً للهيمنة والسيطرة فقط، كما أن على ترامب أن يعرف أن من يفشل في السيطرة على تركيا وهو قابع في بنسلفانيا في أمريكا منذ عام ١٩٩٩ سيفشل في كل محاولاته، وقد فشل حتى الآن في ثلاث محاولات معروفة للشعب التركي، فهل تتمسك أمريكا بشخص فاشل في التخطيط؟ ومن أجل ماذا تعادي أمريكا ثمانين مليون تركي مقابل انقلابي فاشل؟ .

العلاقات التركية الأمريكية بين الواقع والمأمول

صرح المتحدث باسم الرئاسة التركية إبراهيم كالين، الأربعاء ٢٦ من أبريل ٢٠١٧، أن الرئيس رجب طيب أردوغان سيبدأ خلال أيام جولة رسمية يزور خلالها كلًا من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين والهند.

يحل أردوغان ضيفًا على الولايات المتحدة في ١٦ من مايو، وتأتي الزيارة بناءً على دعوة من ترامب، ويُتوقع أن تتمحور حول سوريا والعراق، وتسليم فتح الله جولن.

وبالتزامن مع الحديث عن لقاءٍ مرتقبٍ مهمٍ بين الطرفين، وصف الرئيس ترامب أحداث ١٩١٥ المتعلقة بمقتل عددٍ من مواطني الدولة العثمانية الأرمن بأسوأ الفظائع، متجنبًا وصفها بالمجازر كما فعل أوباما

سابقًا، أو بالإبادة الجماعية كما ترغب الأطراف ذات العلاقات السيئة مع تركيا.

ورغم تنسيق تركيا ضرباتها العسكرية التي استهدفت مواقع لأحزاب كردية تصنفها على أنها إرهابية، مع الولايات المتحدة، فسر بعض المتابعين تصريحات ترامب عن أحداث ١٩١٥ بإحدى الشواهد المؤكدة لاستمرار فتور العلاقات التركية الأمريكية كما كانت في عهد أوباما، فما صحة تلك التحليلات؟.

هيمنت عدة محطات اختلاف بين الولايات المتحدة وتركيا إبان إدارة أوباما، لكن مع وصول ترامب لمقاليد الحكم رأت تركيا فيه الرجل المخلِص لها من الأزمات المعلقة في المنطقة، وبالأخص الأزمة السورية استناداً للملامح الأولية التي طرأت على مواقف شخصيات إدارة ترامب التي وُصفت بالواقعية والعقلانية الراغبة في الحفاظ على حلفائها التقليديين.

مستقبل السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط:

يمكن القول إن تحليل السياسة الخارجية الأمريكية، منذ نشأة الولايات المتحدة، يوضح أن تلك السياسة تتغير دوريا وبشكل روتيني من توجه انعزالي إلى آخر تدخلي من فترة إلى أخري، حيث يمكن توقع التغير من توجه لآخر في لحظات تاريخية معينة فالسياسة الخارجية الأمريكية

تميزت خلال الفترة من ١٧٧٦ حتي ١٧٩٨ بالانعزال لكنها، ابتداء من ١٧٩٨ حتي عام ١٨٢٤، تحولت إلى توجه تدخلي، ثم عادت إلى التوجه الانعزالي حتي عام ١٨٤٤ وهكذا وقد لاحظ بعض الدارسين أن تلك السياسة تتسم بالثبات فرغم تعاقب الرؤساء منذ الحرب العالمية الثانية، فإن الخطوط العامة للسياسة الخارجية الأمريكية ظلت ثابتة تقريبا، وهذا ما لاحظه ديكسون وجاردر على السياسة الخارجية الأمريكية في الفترة من ١٩٤٨ وحتي ١٩٨٨ كما أنه ومنذ انتهاء الحرب الباردة وحتي الآن، تتسم السياسة الخارجية الأمريكية بالثبات والاستمرار، خاصة في الأهداف والتوجهات لكن التغير يكون في الآليات ما بين التدخل العسكري، كما حدث في عهد الجمهوريين في إدارتي بوش الأب وبوش الابن، وتبني الآليات الدبلوماسية في عهد الديمقراطيين في إدارتي كلينتون وأوباما كما أن السياسة الأمريكية، بعد الحرب العالمية الثانية، تسعي دائماً للتوازن بين حسابات المصالح الأمريكية الواقعية، وحسابات القيم والديمقراطية.

لكن المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، وعلى رأسها تأمين وصول النفط، ومحاربة الإرهاب، ستفرض على الرئيس الأمريكي استمرار الانخراط في قضايا المنطقة، وضرورة التعامل معها لكن نمط السياسة لن يختلف كثيراً عن استراتيجية أوباما، وهي الانخراط والحرب بالوكالة، لكن دون التورط العسكري المباشر في تلك الأزمات.

وأيا كان الفائز ، سوف تبقي منطقة الشرق الأوسط مضطربة خلال فترة ولاية الرئيس الجديد، وستظل أحد تشابكات السياسة الخارجية الأمريكية، والانخراط في قضاياها وأزماتها، مع الاختلاف في الآليات، وليس في التوجهات، أو الأهداف.

كشف بحث بمعهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى عن عدد من القضايا المحورية التي تحدد مستقبل العلاقات بين أمريكا وتركيا مشددة على أهمية تعزيز تلك العلاقات لإدارة الملفات الملتهبة في منطقة الشرق الأوسط وأكدت على ضرورة عدم التدخل الأمريكي فى الشأن الداخلي التركي للحفاظ على الحليف الاستراتيجي في قلب أنقرة.

محددات الموقف الأمريكي

وقال الباحث إنه إن كانت الولايات المتحدة تؤمن بمفهوم الديمقراطية، فعليها أن تعترف بأن شعوب دول معينة وحدها، دون غيرها، يحق لها الحكم على الحكومة والمتظاهرين ثانياً، إن الإدانة العامة لتركيا وأردوغان ستأتي بنتائج سلبية قوية فهي لن تدفع الحكومة التركية إلى تفصيل ردودها بطريقة ملائمة، وإنما بحسب ما شاهدْتُه مراراً وتكراراً في الماضي، فإنها ستجعل أمريكا المشكلة الجوهرية مما يحد من أية فرصة لقيام الحكومة بتقديم المزيد من التنازلات.

ويجب أن ينصب هدف واشنطن على أن تفعل ما بوسعها، سراً وبدون إثارة أي عداء، من أجل ضمان إجراء مناقشات كاملة وصادقة داخل

تركيا وتشجيع الأتراك على تسوية الانقسامات الحادة في مجتمعهم بطريقة ديمقراطية وسلمية وهذه ليست الغاية في حد ذاتها لكي تحقق تركيا المزيد من النجاح والاستقرار، لكنها ضرورية أيضاً إذا أرادت الولايات المتحدة أن تستمر في العمل الفاعل مع تركيا حول مجموعة واسعة من المشاكل التي تواجهها في الشرق الأوسط الكبير وعلى نطاق أوسع في منطقة أوراسيا.

وهذه المشاكل هي الأكثر خطورة التي واجهتها في الشرق الأوسط على مدار ثلاثة عقود، فقد أصبح الاستقرار في المنطقة وبقاء الأنظمة وأمن تجارة النفط وحتى الهيكل الكلي للأمن الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة أموراً على المحك لذلك نحتاج تركيا إلى التحلف مع أمريكا، مثلما تحتاج أمريكا إليها لكن من أمريكا وحتى الأناضول، فالجميع يحتاج إلى تركيا مستقرة وديمقراطية.

والمظاهرات التي اندلعت في منتزه جيزي وميدان تقسيم في اسطنبول في نهاية مايو تمثل التحدي الأكبر لحكم حزب العدالة والتنمية الذي يرأسه رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان خلال فترة الأحد عشر عاماً التي قضاها الحزب في سدة الحكم، فلقد نجت الحكومة من الاضطرابات وهي الآن تشن هجوماً من خلال حملة إساءات لفظية وإجراءات قضائية ضد أولئك الذين شاركوا في تلك المظاهرات أو دعموها.

ولا أرى خطورة جراء فشل الحكومة في معالجتها للقضية برمتها لكن الحكومة، لا سيما أردوغان، سوف تواجه الآن معارضة خطيرة إذا حاول رئيس الوزراء تطبيق برنامجه الطموح لتعزيز النظام الرئاسي التركي من خلال تغيير دستوري وانتخابه كأول رئيس في ظل هذا النظام الجديد ورغم أن تلك النتيجة لا تزال قائمة، إلا أن إعادة الترتيب الطموحة للمشهد السياسي التركي، التي ستكون الأكثر أهمية منذ عهد أتاتورك وإينونو، تبدو أقل تأكيداً في ضوء الأغلبية الكبيرة التي يتطلع إليها أردوغان.

التأثير على الولايات المتحدة

تركيا أثبتت أن دولة ذات أغلبية مسلمة مرتبطة جزئياً بالشرق الأوسط الأوسع نطاقاً تستطيع أن تتبنى نظماً سياسية واقتصادية وأمنية غربية تزدهر في ظلها جميعاً وتصبح شريكاً للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ونجاح تركيا أو فشلها النسبي في هذا الصدد سيكون له بعض التأثير على شعوب البلدان الأخرى في المنطقة.